****

**الجمهورية الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبية**

**وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

**جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2-**

**كليــــــــّة الآداب واللــــــــــــــغات**

**قسم اللغة العربية وآدابها**

**محاضرات في مقياس نقد مابعد البنيوية**

**طلبة السنة الثالثة**

**الأستاذة حنان حطاب**

**محاضرات في مقياس نقد ما بعد البنيوية**

الأستاذة : حنان حطاب

البريد الإلكتروني :**hhattab.hanane@gmail.com**

**مفردات المقياس**

1. تحولات النقد المعاصر ومابعد الحداثة
2. رولان بارت ومابعد البنيوية
3. الظاهراتية
4. نظرية القراءة
5. قصدية المؤلف
6. اللغة والتأويل والفهم
7. فلسفة التأويل
8. تفكيك دريدا
9. انفتاح النص والتأويل
10. نقد مابعد الكولونيالية
11. النقد الثقافي مدرسة فرانكفورت
12. النقد الثقافي مدرسة برمنغهام
13. النقد النسوي
14. التداولية

**المراجع:**

1. دليل تمهيدي إلى مابعد البنيوية ومابعد الحداثة :ترجمة خميسي بوغرارة.
2. غادامير:فلسفة التأويل
3. بول ريكور : الزمان والسرد
4. أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكات

5- جون ستروك : البنيوية ومابعدها .

**المحاضرة الأولى : تحولات النقد المعاصر ومابعد الحداثة**

عرفت الساحة النقدية تحولا جذريا ،برزت من خلاله جملة من المناهج والنظريات والتوجهات ،لاسيما منتصف القرن العشرين .ولعل أهم تحول هو أفول المد البنيوي وظهور مابعد البنيوية.

وقبل ولوج مرحلة مابعد البنيوية لابد من التوقف عند مرحلة البنيوية وأهم ماجاء فيها من مبادئ .

**أولا : في مفهوم االبنيوية وتحولاتها**

يمثل النص عند سوسير بنية لغوية، إذ لا شيء يتميّز قبل البنية اللغوية، فالنص في المنظور السوسيري هو اللغة ذاتها وما تنطوي عليه من عناصر يحكمها الاتّساق فيما بينها بفضل العلاقات المتبادلة بينها والمتّصفة بالتحوّل داخل نسق محكم منقطع عن المتغيّرات الخارجية.وبهذا انطلقت البنيوية من مفهوم البنية الداخلية بوصفها النواة الأولى للدراسة والتحليل.

**1 : مفهوم البنية:**

**رغم أن سوسير لم يستعمل ضمن كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" مصطلح البنية بل استعمل مصطلح** "نسق" **إلا أن مفهوم هذه الكلمة كان ملازما للمنهج البنيوي.**

**انطلاقا من هذا برزت عدة دلالات لكلمة** "بنية" **تتفق في مجملها على مفهوم** النسقية والتماسك**، فقد وردت عند أندري لالاند بوصفها: "كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه و لا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه" بمعنى أن البنية هي** نسق متماسك **أو نظام من العناصر** المتماسكة والمرتبطة **ببعضها البعض، بحيث أن تحولا واحدا من عناصرها يؤثر على باقي العناصر، ذلك أن هذه العناصر تشكل كلا** واحدا متكاملا و متجانسا **ومتآلفا فلا معنى للجزء إلا ضمن الكل، ولا معنى للواحد إلا ضمن المجموعة ومن هنا كانت البنية متكاملة في عناصرها الداخلية، و من هذا المعطى يقول جون بياجيه :"إن البنية تتعارض مع التجزئة و لا تهتم بالظواهر الشعورية المنعزلة، و هي تكتفي بذاتها ولا تتطلب اللجوء لأي عنصر غريب عن طبيعة إدراكها، و تأخذ بنظام المجموعات للنظام اللغوي المتزامن.**

**إن هذا التكامل بين أجزاء البنية و علاقاتها يشكل تكوين الشيء و هيكله العام ونظامه الكلي، ومن هنا فالبنية هي نسق من التحولات و التغيرات الطارئة على الشيء تحكمها قوانينها الداخلية وتميزها خصائصها، و رغم تعدد دلالاتها التي قيل أنها "نظام أو نسق من المعقولية، وقيل إنها وضع لنظام رمزي مستقل عن نظام الواقع، و نظام الخيال و أعمق منهما في آن، و هو النظام الرمزي، و تاريخيا نجد أن كلمة البنية انبثقت عن كلمة مماثلة لها هي كلمة الشكل، سواء في علم النفس "الجشطالت" أو في النقد الأدبي عند الشكلانيين الروس"،رغم كل هذا التعدد ظلت البنية رمزا للنسقية و النظام بل أضحت "القانون الذي يفسر تكوين الشيء ومعقوليته"،حيث يهدف هذا القانون إلى الكشف عن العلاقات التي تربط أجزاء هذه البنية وتكشف عن نسقها الداخلي.**

**و من هذا المنطلق، كان لكل بنية جملة من الخصائص التي تساعد على الكشف عن حقيقتها، فهي تتسم "**بالشمولية و التحول و ذاتية الانضباط أو الانضباط الداخلي**، وتعني الشمولية** اتساق البنية و تناسقها داخليا **بحيث تتسم** بالكمال الذاتي**، فهي ليست مجرد وحدات مستقلة جمعت قسرا و تعسفا، بل هي أجزاء تتبع أنظمة داخلية من شأنها أن تحدد طبيعة الأجزاء وطبيعة اكتمال البنية ذاتها..".**

وهذا يعني أن البنية هي مجموعة من الأجزاء التي تشكل في كليتها نسقا واحدا يخضع لقانون واحد، و تربطها علاقات مشتركة، غير أن هذه العناصر هي عناصر ديناميكية تتميز بالتحول و الحركية في داخلها، بعيدا عن الأسيقة الخارجية، و هذا ما نقصد به الانضباط الداخلي أو التناسق الداخلي، و هو ما يفسر ارتباط المنهج البنيوي بكلمة "البنية" رغم أن سوسير لم يوظفها في محاضراته و آثر كلمة "نسق".

**2- مبادئ البنيوية استندت البنيوية في درسها إلى جملة من المبادئ نذكر منها تمثيلا على حصرا:**

* **الاهتمام** بالبنية اللغوية المشكلة للنص **(البنية الداخلية المغلقة)** فلا شيء خارج النص**، والتركيز على دراسة اللغة بوصفها "جهازا منغلقا مكتفيا بذاته غير خاضع في علاقته بالواقع وبالفكر لمفهوم الانعكاس المباشر الأثير في الفكر اللغوي الفيلولوجي"**
* **تعميق القطيعة مع المؤثرات الخارجية، ورفض الأسس و القواعد التي أرستها المناهج السياقية السابقة (الاجتماعي، النفسي، التاريخي...).**
* موت المؤلف **ترفض البنيوية التركيز على** المؤلف **بوصفه** منتجا أول للنص**، وعلى هذا الأساس جاء رولان بارت** Roland Barthes **بمقولة موت المؤلف، إذ الوصول إلى دلالة النص مرهون بهذه المقولة، "فبمجرد أن يزال المؤلف فإن الرأي القائل بإمكان تفسير النص و حل شفرته يصبح رأيا متهافتا، ذلك أن إعطاء النص مؤلفا محددا يعني فرض محدودية على النص أو ربطه بمدلول نهائي لا يتغير، أو بمعنى آخر قفل النص"**

**تبعا لما سبق، يبدو أن الفلاسفة الغربيين قرروا القضاء على كل مرجعية أو مركزية ثابتة، لتطال عملية التصفية المؤلف، و يعلن رولان بارت عن موته "لقد أصبحنا نعلم أن الكتابة لا يمكن أن تنفتح على المستقبل إلا بقلب الأسطورة التي تدعمها، فميلاد القارئ رهين بموت المؤلف".فبعد أن كان المؤلف مصدرا للدلالة و الشاهد الأول على شرعية قرارتنا و تفسيراتنا، و مبدأ تجميع الخطابات ودليل تماسكها أعلن بارت نهايته و موته مقتفيا بذلك أثر فوكو ونيتشه، و مدمرا صوت المؤلف داخل النص.**

عرف مفهوم النّص في مرحلة النقد البنيوي بعدا **نصّانيا** يهدف إلى كشف العلاقات المحدّدة لبناء النّص. ما يجعل النّص يأخذ مفهوم **البنية اللغوية المغلقة حول نفسها والمشتغلة بنفسها**؛ أي **بوصفه مجموعة من الإجراءات المنتظمة في تركيب لغوي نصيّ ينفتح على شبكة العلاقات الداخلية التي تتبادلها عناصره**، **وينقطع عن كلّ تواصل مع العناصر الخارجية التي لا تنتمي إلى منظومته الداخلية.**

المحاضرة الثانية : مابعد البنيوية وتحولاتها

-"المابعد" **ضرب من الانفصال على الواقع .إذ توجد مفارقة واسعة بين "السائد /الراهن" و"فكرة المابعد".**

* -مابعد البنيوية :**مالم تفكر فيه البنيوية نفقد قصرت اشتغالها على النص والبنية الداخلية واللغة كنسق مغلق منعزل عن المؤثرات الخارجية.وتقوم مابعد البنيوية على التجاوز والبعدية والقفز على المفاهيم المألوفة والسائدة**
* **ترتكز مابعد البنيوية على جملة من المرجعيات يمكن تلخيصها على هذا النحو:**

1. المرجعيات الفلسفية :

**الأكيد أن أصحاب البنيوية هم بنيويون ارتدوا عن مسارهم وعرفوا خطأ طرائقهم الأولى ، وكان أهمهم :رولان بارت –ميشال فوكو-أمبرتو إيكو-جاك دريدا وغيرهم ، وقد عمد هؤلاء لدراسة الفلسفات الإغريقية ومابعدها ، وتاثروا بكل من (أفلاطون –سقراط-كانط-هيغل-ماركس-وصولا إلى** عدمية نيتشه).

1. المرجعيات الثقافية:

**تعود للتغيرات التي عرفتها الثقافات الغربية والتي تقوم على أساس التمييز الطبقي ، كما تعود لأفكار ماركس التي استخدمها رواد مابعد البنيوية .**

1. المرجعيات الفكرية:

**استمدت أفكارها من التحليلات والمرتكزات التي تركتها البنيوية .**

ماهية مابعد البنيوية :

**-مصطلح وضعه أكادميون أمريكيون للدلالة على أعمال متجانسة لمفكرين فرنسيين وظهرت كاستجابة للبنيوية التي ظهرت أوائل النصف الثاني من القرن 20.**

**-تشمل "مابعد البنيوية" ، مجموعة من الاتجاهات والنظريات والمناهج النقدية .**

**-حاولت مابعد البنيوية أن تتجاوز الأخطاء التي وقعت فيها البنيوية (الانغلاق- المعيارية –الأحادية..).**

- الانفتاح على الذات المتلقية للدخول في فضاء التحليل و إعادة الاعتبار إلى القارئ.

-الخروج من الانغلاق اللساني الذي فرضته المناهج النسقية .

المحاضرة الثالثة : التحولات النقدية عند رولان بارت

أولا : المراحل النقدية :

**يمكن تلخيص أهم المسارات المعرفية لرولان بارت من خلال جملة من مؤلفاته الأدبية والنقدية وعبر مسارات مختلفة في هذا الجدول :**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مرحلة ماقبل البنيوية | مرحلة البنيوية السيميولوجية | مرحلة مابعد البنيوية |
| **-الدرجة الصفر للكتابة عام 1953.**  **-كتاب مقالات نقدية 1964.**  **-كتاب أسطوريات.** | -**الأسطورة اليوم-مبادئ السيميولوجية عام 1964.**  **-كتاب مقالات نقدية .1964**  **-التحليل البنيوي للسرد 1966.**  **نظام الموضة.** | **كتاب (س/ز)وبعدها مجموعة من الكتب والمقالات أهمها :لذة النص.-خطاب عاشق-بارت بقلمه-إمبراطورية العلامات.** |

-الملاحظ أن التصنيف أغفل كتابين هما: عن راسين-كتاب ميشليه.

-ولم يدرج كتاب هسهسة اللغة الذي تضمن مقال موت المؤلف .

**ثانيا : رولان بارت ومابعد البنيوية**

تعد هذه المرحلة من أبرز وأهم المحطات النقدية ،تقوم على :

* تجاوز النمط التقليدي الذي كرسه اللغويون .
* الرغبة في التميز في الدراسات النقدية والادبية .
* الابتعاد عن التحليل اللغوي النصي والأبحاث اللغوية التي وضعها سوسير .
* جاءت هذه المرحلة بعد مظاهرات 1968 والاضطرابات العنيفة للعمال والطلبة التي شهدتها فرنسا .والتي كانت تهتف ضد البنيوية التي شبهت بالسلطة العسكرية التعسفية.
* الخروج من القراءات المغلقة والانفتاح على التعددية القرائية
* التخلي عن فكرة علمية الأدب التي طرحها في مؤلفاته الأولى "نقد وحقيقة".
* التحول من المسار النقدي (ناقد) إلى المسار الإبداعي (مبدع حر ) .النقد من منظوره ليس خطابا حول خطاب ، وليس تعليقا حول النص المقروء ، وإنما يصبح النقد إبداعا جديدا لنص جديد ،يوازي النص المقروء .
* تتحول الكتابة عند بارت إلى إبداع نصي .
* تحول رولان بارت إلى قراءة النصوص ولذتها .وانصرف عن السياسة إلى الاشتغال بقضايا الكتابة والأدب .

**المحاضرة الرابعة : كتاب س/ز (s/z )التحليل النصي**

**-**بدأ التحول الفعلي لرولان بارت من خلال مجموعة من المحاضرات التي ألقيت سنة 1998-1969 عن قصة سارازين لبلزاك.ونشرها في كتابه س/ز الصادر عام 1970.

**-**مثل الكتاب قطيعة مع البنيوية ومورفولوجية فلاديمير بروب .والانتقال من التحليل النصي إلى التحليل السردي.

**-**أفكار بارت كانت قريبة من طروحات جوليا كريستيفا في سيميوتيكا ،وجاك دريدا في علم الكتابة .

**-**دعا إلى ضرورة ممارسة تحليل جديد هو التفكيك المقطعي للنصوص ،وهذا من خلال تحطيم شبكة النص وتفكيك وحداته وتجاوز سطحيته .

**-** اشتغل بارت في قصة سارازين على التحليل الخطي المتتالي للنص ، حيث قسم النص إلى 561وحدة أو مقطع ،متفاوتة الطول بين جملة ومقطع بأكمله.وهذه المقاطع تدعى الوحدات القرائية.واستند فيها إلى جملة من شيفرات القراءة .

**الشيفرات القرائية عند رولان بارت:**

1. **الشيفرة التأويلية**:هذه الشيفرة تمنح القدرة على إدارة الفعل وإنتاجه من قبل الشخصيات .

تشير هذه الشيفرة إلى الصدمات المتنوعة التي تستطيع أن تثير السؤال أو تؤخر الجواب.

1. **الشيفرة الدلالية:** الشيفرات المعالجة للتيمات أو الموضوعات ،وهي الأكثر إمساكا بالمعنى ،لأنها لاتعنى بالدال الظاهري ،بقدر ماتكون معنية بالبحث عن مضامين جانبية.
2. **الشيفرة الرمزية :**لايمكن الفصل بينها وبين الشيفرة الدلالية ،إلا أنها تمثل الشكل التجميعي لقصدية الشيفرة الدالة والذي ظهر مهيمنا وبصيغ متعددة في مستوى النص بأكمله.

تقوم على مبدأ التعارض الثنائي الذي يقوم على الاختلاف بين العناصر المكونة للنص.ويتجلى في الاستخدام البلاغي مثل :الطباق.

1. **الشيفرة الثقافية :**يشمل الخلفيات المعرفية التي تشير إلى ثقافة ما تتسرب من خلال النصوص ، فهي شفرات المعرفة ،الحكمة ..وتمثل هذه الشيفرة الصوت الجمعي أو المنهج المقاوم داخل النص.
2. **شيفرة الأحداث :**الأفعال التوقعية ،تمثل شيفرات احتمالية ، تعتمد على وعي القارئ في تحديد تنامي الحدث.

وتشمل كل حدث داخل القصة ، والحدث لايكون إلا من خلال تمثل اللغة له.وتشمل كل أفعال القصة.

المحاضرة الخامسة : الظاهراتية

**أثارت قضية الفينومينولوجيا اهتماما بالغا في الفلسفة الغربية المعاصرة ، حيث اهتمت بدراسة الظواهر في إطار تحولات العقل التأويلي في الفلسفة الغربية.**

**برزت الظاهراتية في النصف الأول من القرن العشرين كفلسفة من فلسفات الحضور.**

1. إدموند هوسرل:

**حاول أن يجعل من الفلسفة علما جديدا يتجاوز النظرة السطحية ، حيث الفينومينولوجيا الخاصة التي نبحث هنا عن طريقها ..والتي نود أن نبرهن عليها كعلم أساسي للفلسفة هي علم جديد على نحو خاص بعيد عن التفكير الطبيعي نظرا إلى خصوصيته الأساسية ..إنها تسمى علم الظواهر.." يسعى هوسرل إلى أن يجعل منها علما مستقلا كليا ومعرفة شاملة تروم وصف عملية الإدراك وتحليل الشعور لاكتشاف الماهيات الكلية الكامنة فيه "**

**إن أهمية الظاهراتية تتجلى بوصفها نظرية تهتم بفهم الوجود ومحاولة تفسير شروطه وكيفية تشكيله.**

1. مقولات الظاهراتية:
2. **القصدية: بمعنى أن نسمح للوعي القصدي بالكشف عن جوهرها بعيدا عن الأحكام القبلية الجاهزة. فالفلسفة الظاهراتية لا تقوم إلا على الوعي القصدي الخالص وهو مفهوم يرتبط بوعي الذات بشيء ما ، وهو مفهوم تجريدي لا يقبل الملاحظة أو المشاهدة الخارجية ،بل هو حقيقة نفسية تستلزم ضربا من التحليل القصدي".**

**إذن يلح هوسرل على ضرورة التحليل القصدي المبني على ضرورة الوعي من خلال التعمق في الأشياء لإدراك ماهيتها .**

1. **منطق التعالي:(الذات المتعالية/الترنسندتالية)**

**برزت الظاهراتية كصيغة جديدة للكوجيتو الديكارتي ،حيث وضعه بينه حدودا فاصلة من خلال ما أسماه "الأنا المتعالية" بوصفها شرطا لكل معرفة .وهي مختلفة عن الذات المفكرة عند العقلانيين. وتعد مصدر الإدراك وأصل الوعي ومن ثم إنتاج المعرفة.**

3-التفكيك والظاهراتية:

**رغم أن جاك دريدا عارض فلسفة الحضور عند هوسرل إلا أنه لم ينكر فضل أفكاره وفلسفته .**

* **ارتبطت ظاهراتية هوسرل باللغة الإنسانية والوعي والقصدية وكذا فلسفة الحضور، بما في ذلك حضور الصوت/الكلام ، وهذا مارفضه دريدا ونقضه**
* **كرس دريدا فلسفة الغياب/الاختلاف بدل فلسفة الحضور وقوض مركزية الصوت وحضوره ووضع مكانه علم الكتابة.**
* **موقف دريدا من الظاهراتية هو زعزعة الميتافيزيقا ومنطق التعالي .**

**المحاضرة السادسة :نظرية القراءة**

**تتغيا هذه المحاضرة الحديث عن نظرية التلقي التي برزت في إطار الدراسات ما بعد البنيوية، كرد فعل على الدراسات النصية التي أعلت من سلطة النص، و جعلت المعنى حبيسا لأنساقها، و من ثم كان لزاما وجود بديل نقدي يحتفي بالقارئ ويؤسس لوجوده وكينونته، ذلك أن عمل المتلقي منوط بتلك الأبعاد الجمالية التي تظهرها الأبنية اللغوية و النظام العلامي الموجود داخل النص، فالمتلقي يكشف عن الأبعاد الجمالية التي تضمرها اللغة .**

أولا: المرجعيات الفلسفية

لا يمكن الحديث عن جمالية التلقي إلا بالرجوع إلى أصولها الفلسفية والفكرية التي لا تخرج عن ثلاثة فلاسفة:

1. إدموند هوسرل Edmund Husserl

هو المؤسس الأول للفلسفة الظاهراتية التي برزت في النصف الأول من القرن العشرين كصيغة جديدة للكوجيتو الديكارتي Cogito، و فلسفة من فلسفات الحضور المؤسسة للوعي في مقابل فلسفات الشك "و رغم أنه انطلق من العقلانية الديكارتية في بحثه عن الحقيقة، إلا أنه وضع تلك المنطلقات الفكرية محط شك و مساءلة، و من جهة أخرى وضع هوسرل بينه و بين الكوجيتو الديكارتي حدودا فاصلة من خلال ما أسماه "الأنا المتعالية" بوصفها شرطا لكل معرفة و تمايزا عن الذات المفكرة لدى العقلانيين.وهكذا استطاعت الظاهراتية أن تقدم رؤية جديدة في إدراك ماهية النصوص من خلال مقولتي "قصدية الوعي" و الذات المتعالية، و بهذا اشتقت نظرية التلقي مفهوم "القارئ" من مفهوم الذات بوصفها مصدرا للإدراك.

1. إنجاردن R. Ingarden:

تلميذ هوسرل الذي قام بتعديل مفهوم التعالي و قسمه إلى بنيتين نمطية (ثابتة) و متغيرة يقوم عليها الأساس الأسلوبي.

1. غادمير H.G Gadamer:

ارتبط اسم غادامير بمشروع التأويل في علاقته بالتاريخ، فكان نشاطه التأويلي يختص بالتجربة الإنسانية بشكل عام، متحررا من كل النزاعات الدوغمائية.

يرتبط الفهم عند غادامير بالمزاوجة بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي انطلاقا من آنية أفق المؤجل و راهنيته، إضافة إلى المكونات والافتراضات القبلية الماضية للنص، فالفهم متموقع بين راهن مؤجل و ماض نصي و فهم النص في حد ذاته بعيدا عن العناصر النفسية لصاحبه. كما عرف غادمير بمفهوم "الأفق التاريخي" "حيث لا يكون ثمة تحقق خارج زمانية الكائن التي تسمح باندماج الأفق الحاضر بالأفق الماضي، فتعطي للحاضر بعدا يتجاوز المباشرة الآنية و يصلها بالماضي، و يمنح الماضي قيمة حضورية راهنة تجعلها قابلة للفهم"، والأفق التاريخي هو المفهوم الذي أفاد منه ياوس في إطار جمالية التلقي، و أسماه أفق التوقع Horizon d’attente.

ثانيا: في مفهوم التلقي و نظرية التلقي

يقصد بالتلقي تلقي الأدب، أي العملية المقابلة لإبداعه أو إنشائه أو كتابته فنظرية التلقي هي ثمرة جهد جماعي كان صدى للتطورات الاجتماعية و الفكرية و الأدبية في ألمانيا الغربية خلال الستينيات".

جاءت نظرية التلقي في إطار الدراسات ما بعد البنيوية، كرد فعل على الدراسات النصية التي أعلت من سلطة النص، و جعلت المعنى حبيسا لأنساقها.

و تبعا لذلك رفضت نظرية التلقي المقاربة البنيوية التي تمنع الوصول إلى جمالية النص بسبب منطق الاكتفاء الذاتي، حيث إنه لا يمكن الحديث عن هذه الجمالية إلا عبر الحوار القائم بين النص و متلقيه.

حاولت إذن نظرية التلقي بوصفها تأسيسا لجمالية النص أن تتجاوز النظرة الأحادية للمعنى، و انغلاق بنية النص التي لا تحيل على بمعجمها الداخلي، فقد قوضت فكرة أن الملفوظ اللساني وحده طريق بناء جمالية النص، ذلك أن طريقا آخر من شأنه أن يشارك في هذه العملية، و هو الذات المتلقية التي تتعالق مع النص و تتحاور معه للكشف عن تلك الجمالية الغائرة المتخفية وراء منطوقات النص.

ثالثا: في مفهوم القارئ / المتلقي

إذا كان الدرس البنيوي ينحو نحو تحليل النص انطلاقا من بنيته الداخلية فإن نظرية التلقي أعطت مفهوما آخر لهذا النص يرتبط بالانفتاح، حيث تحولت دلالته من الإشارة إلى نص مكتف بذاته إلى نص مرتبط بقارئ معين ومن هنا جاءت الأهمية الكبرى لهذا القارئ بوصفه "أحد الأركان الجوهرية في العملية الإبداعية إذ يشكل الغاية والهدف من هذه العملية و أن الحكم على العمل الإبداعي سواء أكان ناجحا أم غير ناجح يأتي مكن المتلقي الذي يحكم على العمل وفقا لتأثره و تفاعله و ثقافته و هذه الأشياء تساعد على تقييم العمل الإبداعي تقييما جيدا.إن ما يميز دور القارئ هو سعيه في محاولة استنطاق الدلالات المضمرة في الخطابات الأسلوبية، فالمضمر المغيب هو ما يستفز القارئ و يحرك فيه بواعث البحث عن الجمال.

وهذا يعني أن عمل المتلقي منوط بتلك الأبعاد الجمالية التي تظهرها الأبنية اللغوية والنظام العلامي الموجود داخل النص، فالمتلقي يكشف عن الأبعاد الجمالية التي تضمرها اللغة .

رابعا: مدرسة كونستانس الألمانية (ياوس + إيزر)

عرفت نظرية التلقي جملة من المسميات التي تشير في عمومها إلى سلطة القارئ في قراءة النصوص، فظهرت جمالية التلقي و التقبل" أو "نظرية التلقي" أو "اتجاه جمالية القراءة" أو جمالية التلقي أو التقبل" أو نقد استجابة القارئ... و رغم تعدد أسماء إلا أن هناك إجماعا حول أصول هذه النظرية التي تعود إلى مدرسة كونستانس الألمانية ممثلة في رائدها "هانز روبرت ياوس" "Hans Robert Jouss" وولف جانغ أيزر "Wolfgang Iser" (أستاذان في جامعة كونستانس) الألمانية "و قد أرسى هذا الناقدان فيما بعد اتجاهين في نظرية القراءة يسمى أولهما بـ "نظرية التأثير و الاتصال" و قد مثله إيزر الذي أكد دور القارئ و النص معا، متأثرا بفيلسوف الظاهراتية هوسرل.

أما الاتجاه الثاني و هو الاتجاه الذي عرف بـ "نظرية التلقي و التقبل" فيمثله ياوس، و يؤكد فيه على دور القارئ في خلق المعنى الأدبي مستفيدا من غادامير صاحب مفهوم الأفق التاريخي".

ومع هذا يختلف كل من "إيزر" و"ياوس" في نوع القارئ و طريقة تحديده ويشتركان في الإيمان بضرورة وجود قارئ يقتفي آثار النصوص و يبرز جماليتها فلا يكتفي بالظاهر فيها وإنما يستنطقها بحثا عن المضمور فيها / المسكوت عنه "و ذلكم هو البحث فيما فوق النص و تحته وما وراء النص و ما بين يديه".

1. نظرية التأثير و الاتصال( إيزر Wolfgang Iser)

تنشأ جمالية التلقي من خلال الجدلية الحوارية بين النص والمتلقي ، حيث يحاول القارئ سبر أغوار النص و استكناه ما خفي فيه و استنطاق مكنوناته من خلال رصد خبراته الجمالية، فقد مال إيرز إلى "التفاعل بين النص والقارئ، و بذلك تجاوز النظرة الأحادية إلى تغلب قطب استجابة القارئ أو قطب فاعلية النص"

يميز إيزر قارئ النص المتأثر بعملية القراءة التي اقترحها إنجاردن R.Ingarden حيث عد إنجاردن النص من الفجوات التي تتطلب قارئا يملؤها "فالقارئ له إسهام مكافئ في الأهمية في إدراك النصوص، و على ذلك، فإن العالم قد ينقلب رأسا على عقب، بقدر اهتمامنا بإبداع المؤلف، لأن النصوص لا يكون في مقدورها مواصلة التبدي و الحدوث بذاتها، كما لم يعد في مقدور الفنانين و المؤلفين الذين منحوا هذه النصوص –الوجود- أن يدعوا الامتلاك الأحادي إن جاز التعبير بمعنى نصوصهم، فإن نحن قمنا بترجمة هذه الفكرة إلى مصطلحات نظرية الاتصال، فيمكن أن يصبح المتلقي في هذه الحال مساويا أو مكافئا في الأهمية بمرسل الرسالة"

تبعا لهذا التكافؤ بين المتلقي و النص عند إنجاردن حاول "إيزر" التأسيس لجمالية التجاوب من خلال مفهومه للمتلقي حيث أهتم إيزر بالطابع التزامني "و نقصد بذلك أن إيزر انشغل كثيرا بوصف الفعالية الذهنية و النفسية "بالمعنى العقلي" لتجاوب القراء مع النصوص و تتبع المراحل التي يقطعونها ذهنيا لبلوغ اللحظة التامة لتجاوبهم.

إن منهج التلقي مرتبط عند "إيزر" بالمراحل النفسية التي يقطعها القارئ وهو يبني عملية الفهم و الإدراك، و هو بذلك يؤسس لمفهوم القارئ الضمني "ووصفه بأنه القادر على إعادة تشفير أفق توقعات الماضي و إعادة بناء السياقات الاجتماعية و التاريخية للنص.

1. نظرية التلقي و التقبل (هانس روبرت ياوس)

في مقابل "القارئ الضمني" عند "إيزر" تميز "ياوس" "بالقارئ" "المقصود حيث "يرى ياوس أن المقاربات النقدية السابقة حرمت الأدب من بعد مهم يعد ملازما للطبيعة بوصفه ظاهرة جمالية لها وظيفة اجتماعية، ذلك هو الأثر الذي يحدثه في المتلقين والمعنى الذي يمنحه إياهم، و يعتقد بأن النص لا يملك "معنى" موضوعيا، و لكنه يحتوي فقط على بعض الخصائص التي يمكن وصفها بصورة موضوعية".

و إذا كان إيزر متأثرا بطروحات المحلل الظاهراتي إنجاردن، فإن ياوس تأثر بصاحب الدراسات التأويلية غادامير من خلال مصطلحه "أفق التاريخ" و ما يقابله عند ياوس "أفق التوقع Horizon d’attente الذي يقصد ب أنه "ثمة مدونة تضم معايير ذوق العمل الأدبي، و إذا كان المتلقي يعتمد في قراءته للأعمال على معايير سابقة، فإن هذه المعايير التي تتعرض للتغيير تصيب المتلقي بخيبة، إذ يخيب ظن المتلقي في مطابقة معاييره السابقة مع المعايير التي ينطوي عليها العمل الجديد"

بمعنى أن المتلقي يلج قراءته للنص و هو محمل بجملة من التوقعات التي تخضع النصوص لها، هذه التوقعات تبني انطلاقا من معايير و تجارب قرائية سابقة، لكن القارئ في محاولته المطابقة بين توقعاته و تجليات هذه النصوص يصاب بنوع من الصدمة التي تكسر أفق توقعاته، "إن النص الجديد يثير في القارئ (أو المستمع) طائفة من التوقعات و قواعد اللعبة التي أصبحت بموجبها النصوص السابقة مألوفة لديه، هذه التوقعات يمكنها مع توالي القراءات أو تخضع للتعديل أو يتم فقط الاقتصار على إعادة إنتاجها.

و من هنا فإن مصطلح "أفق التوقع" عند ياوس يشكل أهم مبدأ في "نظرية التلقي و التقبل" حيث "يشير أفق لاتوقعات إلى ما يمكن أن تنفتح عليه التجربة الجمالية والفكرية لدى القراء بتحريض من النصوص الجديدة ويكون ذلك بتأثير عوامل أساسية ركز ياوس على دورها الرئيسي في هذه العملية و هي:

* المعايير الراسخة لدى القراء عن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص.
* مدى ما يعكسه النص من آثار معروفة سابقا لدى القراء و ما يتضمنه من جديد.

تبعا لما سبق، تؤسس جمالية التلقي لمفهوم القارئ بنوعيه (الضمني/إيزر) و(المقصود/ ياوس) فكلاهما يسعى إلى ترسيخ علاقة جدلية تفاعلية حوارية بين النص والقارئ "ضمن قراءة للسياقين (الداخلي/الخارجي).

المحاضرة السابعة :استراتيجية التفكيك

أولا: إشكالية المصطلح

ارتبط التفكيك Déconstruction)) بالناقد الفرنسي جاك دريدا Jack Derrida الذي أرسى معالمه في إطار التحول و الانقلاب المعرفي على البنيوية، ما يجعله أهم حركة ما بعد بنيوية في النقد الأدبي المعاصر.

ولد التفكيك في ندوة نظمتها جامعة هوبكنز (الو، أ، م) حول موضوع "اللغات النقدية و علوم الإنسان" في أكتوبر عام 1966، و قد اشترك فيها مجموعة من النقاد و الباحثين مثل: رولان بارت، تودوروف، لوسيان غولدمان – ج لاكان- و جاك دريدا الذي شارك بمداخلة أرسى فيها أسس التفكيك، و كان عنوان المداخلة: "البنية و الدليل، و اللعب في خطاب العلوم الإنسانية"، ثم ضمنها بعد ذلك كتابه "الكتابة و الاختلاف"

ظهر مصطلح التفكيك كمقابل شائع لمصطلح (Déconstruction) الذي ظهر مع جاك دريدا و الذي أقر حين وضع المصطلح أنه كان يفكر خصوصا في استخدام هيدغر لكلمة التدمير (Déstruction) "بمعنى تحليل بنية ما عن طريق نشرها وبسطها على طاولة التشريح مثلما كان يفكر في كلمة (Abbou) الألمانية أي (Démontage) الفرنسية التي استعملها فرويد للدلالة على نوع من التركيب المقلوب".

كما ورد عن جوزيت راي دوبوف في "قاموسها السيميائي" فعل التفكيك (Déconstruire) عند دريدا بمعنى فك أو تقويض (Défaire) بناء إيديولوجي موروث اعتمادا على التحليل السيميولوجي.

ثانيا: مقولات التفكيك

1. الاختلاف[[1]](#footnote-1)\*:

استوحى دريدا فكرة "الاختلاف من سوسير، الذي جاء تقابلاته الشهيرة حيث أعطى للعلامة (دال+مدلول) قيمتها في إطار اختلافها مع غيرها، فقد ميز سوسير بين عنصرين هامين هما اللغة (langue) الحاملة للطابع الجماعي بعدها مجموعة منتظمة من الرموز و الكلام (parole) كتأدية فردية للغة وربط سوسير الأحداث الكلامية بالنسق اللغوي حتى تتبع مفعولاتها مثلما هي الأحداث الكلامية ضرورية لنشأة النسق. ولقد صاغ دريدا التفكيك بطريقة مغايرة و مطورة لثنائيات سوسير بعدما عمد إلى الفعل الفرنسي (différer) معتمدا في هذا على صيغتين من الاشتقاق منهما:

الصيغة اللازمة الدالة على الشيء المغاير المختلف (dissemblable) والصيغة المتعدية الدالة على الإرجاء و التأجيل لوقت آخر (Remettre au autre temps) مشتقا مصدرا للاختلاف (Différence) من الصيغة الأولى ذات الدالة المكانية، أما الصيغة الثانية ذات الدلالة الزمنية فاشتق منها مصدر جديد لا عهد للغة الفرنسية به هو الإرجاء و التأجيل و الإخلاف (Différance) و لقد خلفت هذه الكلمة ارتباكا لدى القارئ خلال ترجمتها للعربية أو حتى الإنجليزية، فأحيانا يستخدم ديفيد أليسون كلمة (Différentiation) مقابلا لها في متن الترجمة ويتابعه في ذلك ميشال ريان حين يقتبس الفرنسية كما هي دون ترجمة و في مرات قليلة يترجمها إلى ثلاث كلمات مجتمعة معا هي:

(Différence- Differral- Différing)و يحرص على وضع كلمة دريدا الفرنسية بجواز ترجمته الإنجليزية".

فالاختلاف عند دريدا –على هذا النحو من الكتابة- ليس هفوة إملائية بقدر ما هو حيلة قصد بها إبراز الاختلافات الواردة على الدلالة ضمن المستوى الصوتي و الكتابي ليوضح من خلال هذا الإبدال و التشويه الصامت بإحلال (a) محل (e) أن الاختلاف (Différance) الذي يقصده هو، إنما هو بنية وحركة لا يمكن تصورها على أساس التعارض بين الحضور والغياب، فالـ (Différance) هو التبدل المنظم للاختلاف ولآثار الاختلافات"غير أن هذا الاختلاف مقترنا بالإرجاء و التأجيل و التعويق و التأخير و كذا بالتشتت والانتشار يحرر القارئ من مرجع محدد و ثابت فيغدو المعنى مؤجلا باستمرار في لعبة دلالية لا نهائية قائمة على التخصيب المستمر للمدلول

1. نقد المركزية الغربية: (نقد العقل و الثورة على الميتافيزيقا)

استندت الممارسات الفكرية السابقة على "العقل" بوصفه المركز، و جعلت العلم تجل من تجلياته، و عمقت الميتافيزيقا هذا الطرح فأعطته بعدا إلاهيا دمجت فيه فكرة "اللوغوس" و "الله"، بل ذهبت إلى عدة مدار التفكير و مرد الحقائق و اليقينيات، .. هذه المبالغة في التشدد بقوى العقل هي التي جعلت جاك دريدا يتحدث عن مقولة "نقد المركزية الغربية: التي حاول من خلالها تقويض التمركز العقلي Logoscentrism من جهة والثورة على الميتافيزيقا من جهة أخرى، حيث عمل على نقد الخطاب الغربي و الكشف عن تعالي الإرث الفلسفي و النبش في أنساقه و تفكيك بؤر الميتافيزيقا.

و على هذا الأساس استعان دريدا بمبدأ الهدم و الشك و أعلن عن "تدمير كل الدلالات التي تجد مصدرها في اللوغوس.

1. علم الكتابة (نقد التمركز الصوتي)

نظر الفلاسفة للكتابة كنشاط من الدرجة الثانية ،و في مقابل هذا لم يخف سوسير انزعاجه من الخطر الذي تمارسه الكتابة بحق الكلام لأنها تخفي اللغة و تغتصب الكلام أحيانا ".

تبعا لهذا جاء التفكيك لقلب المركزية الغربية المعلية لسلطة الكلام و دعا إلى تأسيس النص المختلف و إعلاء سلطة الكتابة، و لما كانت على هذا النحو من الأهمية أفرد لها دريدا كتابه الموسوم بـ علم الكتابة de la grammatologie عام 1967، الذي يهدف فيه لتأسيس برنامج فكري يعطي الأفضلية للكتابة على حساب الكلام، كما دعا من خلال كتابه "الكتابة و الاختلاف" إلى تثمين دور الكتابة.

تأسيسا على ما سبق، يتضح لنا أن الكتابة التي ينادي بها دريدا هي أولا "علامة مكتوبة يمكن أن تتكرر في غياب سياقها، و أنها ثانيا قادرة على تحطم سياقها الحقيقي وتقرأ ضمن أنظمة سياقات جديدة بوصفها علامة في خطابات أخرى، و أنها ثالثا تكون فضاء للمعنى بوجهين، الأول قابليتها الانتقال من سلسلة جديدة من العلامات، و الثاني قدرتها على الانتقال من مرجع حاضر إلى آخر، و هذه سمات خاصة بالكتابة، لا يمكن للكلام أن يمتلكها..."

4.جدل الحضور و الغياب

تبرأ دريدا من النزعة الميتافزيقية و من الإرث الأفلاطوني القائم على فلسفة الحضور التي ترسخ فكرة "وجود الموجود في الوجود" أو أن الوجود يتجلى بوصفه حضورا.

مثلما استأثرت فكرة الحضور على اهتمام الفلاسفة القدامى اهتم دريدا بنقيضها وهو الغياب، هذا المعطى الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالتفكيك وبمقولة الاختلاف، فكل ما لا يمكن وصفه بالحضور هو في حقيقته مؤجل و مرجأ .

و لما كانت العلامة لا تحمل داخل النص وجودا فعليا ملموسا "فإن الحضور الوحيد في النص هو اللغة و حيث أن اللغة تحجب الأشياء أو تخفيها فمعنى ذلك، أن الحضور الوحيد هو الغياب، أي أن اللفظ بقدر ما يكف عن الأشياء (الحضور) يخفيها أو يحجبها (غياب.

المحاضرة الثامنة

نشأت السيميائية نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين متزامنة مع موجة الحداثة النقدية، و كغيرها من المصطلحات النقدية لاقت الكثير من الجدل المصطلحي الذي يكشف عن الاختلاف الثقافي و الحضاري و تباين الوعي النقدي بين النقاد و الباحثين في إطار ما سمي "بالأزمة المصطلحية".

تسمى "السيميائية: Sémiotique"حينا، و"السيميولوجيا: Sémiologie" حينا آخر، بإسهام أوروبي يمثله فردينان دوسوسير F.De Saussure (1857-1913) وآخر أمريكي يمثله شارل سندرس بيرس C.S Pierce (1839-1913)".

انطلاقا من هذا، يرتبط ميلاد السيميولوجيا كعلم جديد، بالعودة إلى العالم السويسري "سوسير" و الأمريكي بيرس، ورغم ذلك تمتد السيميائية للاستعمال اليوناني للفلاسفة، حيث ارتبط المصطلح عند أفلاطون Sémiotiké بمصطلح (Grammatiké) أي بالكتابة و القراءة " يبدو أن السيميوطيقا اليونانية لم يكن هدفها إلا تصنيف علامات الفكر لتوجيهها في منطق فلسفي شامل" كما يعبر برنار توسان.

**ثانيا: السيمياء عند فردينان دوسوسير (1857-1913)**

ترتبط السيمياء بمؤسس اللسانيات الحديثة الذي يرجع إليه الفضل في تبني مصطلح (السيميولوجيا) من خلال تبشيره بعلم جديد يدرس العلامات حيث قال: "و يمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي و هو بدوره جزء من علم النفس العام و سأطلق عليه علم الإشارات Sémiologie". هكذا إذن تكهن سوسير بوجود علم يتجاوز الألسنية و يدرس حياة العلامة و قد أورد هذا ضمن محاضراته اللغوية مؤكدا أن" اللغة نسق من العلامات، يعبر عن الأفكار، و منه فهي مشابهة للكتابة وأبجدية الصم و البكم، و الطقوس الرمزية، و أشكال المجاملة والإشارات العسكرية...الخ، إنها و فقط الأهم بين كل هذه الأنساق" وهذا يعني أن هذا العلم سيكون أهم و أشمل من اللسانيات لأنه يدرس العلامات اللغوية و غير اللغوية، فالألسنية إذن هي جزء من السيميولوجيا، ذلك أنها علم "يدرس حياة العلامات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، و هو بدوره جزء من علم النفس العام، و سأطلق عليه علم العلامات Sémiologie و هي لفظة مشتقة من الكلمة الإغريقية Seméion= العلامة (Signe)، ويوضح علم العلامات ماهية مقومات العلامات و ماهية القواعد بطبيعته و ماهيته، و لما كان هذا العلم لم يظهر إلى الوجود إلى حد الآن، لم يمكن التكهن بطبيعته و ماهيته، و لكن له حق الظهور إلى الوجود، فعلم اللغة هو جزء من علم العلامات العام، و القواعد التي يكتشفها هذا العلم يمكن تطبيقها على علم اللغة.

يصل سوسير إلى إعطاء اللغة تعريفا مرتبطا بالعلامة أو نظام العلامات وهذه العلامة قد تكون لغوية و قد تكون غير لغوية مثل الإشارات العسكرية وإشارات المجاملات و إشارات الصم و البكم... و من أجل هذا يبشر بميلاد علم يدرس حياة العلامات داخل المجتمع، كما يرى سوسير أن هذا العلم لم يوجد بعد لكنه سيوجد في المستقبل ليحتوي الدراسات اللسانية و يتجاوزها.

انطلاقا من المقولة السابقة لسوسير يمكن التوقف عند جملة من النقاط و هي على هذا النحو:

* يذهب سوسير إلى إمكانية تأسيس علم يدرس حياة العلامة داخل الحياة الاجتماعية، فموضوع هذا العلم هو دراسة حياة العلامات بشكل عام، و محيط هذا العلم هو الحياة الاجتماعية.
* يحدد سوسير هوية هذا العلم و انتماءه، إذ جعله جزءا من علم النفس الاجتماعي، الذي هو جزء من علم النفس العام، و قد أسند لعالم النفس مهمة تحديد المكانة الحقيقية لعلم الإشارات، و هذا يعني أن العالم الذي يختص بعلم النفس هو الذي يتبنى هذا العلم و يحدد معالمه و ليس عالما آخر.
* يتوقع سوسير من هذا العلم أنه يمكننا من معرفة ماهية العلامة عن طريق الخوض في مكوناتها و استنباط القوانين التي تضبط علاقاتها ببعضها وأن هذه القوانين ستكون القوانين التي تضبط علاقاتها ببعضها، و ستكون قابلة للتطبيق على علم اللغة اعتمادا على تصوره الذي يرى أن العلامة اللغوية هي النموذج المثال لعلم الإشارات.
* يرى سوسير أن العلم لم يوجد بعد و عدم وجوده يعني غياب التصور التام عن كينونته بوصفه علما، إلا أنه يعطي شرعية وجوده كعلم.

على هذا الأساس ذهب النقاد إلى أن سوسير هو مؤسس السيميولجيا أو (علم العلامات). و إن كان هذا لم يمنعه من الاختلاف مع رولان بارت في تحديد علاقة السيمياء باللسانيات، فإذا كان سوسير يرى أن "المشكل اللساني هو قبل كل شيء مشكل سيميولوجي"فإنه كذلك يلح على أن السيميولوجيا أعم من اللسانيات "السيميولوجي يتجاوز Déborde الألسني"، في مقابل رولان بارت الذي يعكس المعادلة ويرى أن السيمولوجيا لا تمثل إلا جزءا من الألسنية.

1. \* ورد لفظ الاختلاف في القرآن الكريم في عديد المواضع و اختلف مفهومها عن ما ورد دريدا، نذكر منها سورة آل عمران، الآية 19، سورة يونس: الآية 19، سورة المائدة: الآية 48، سورة الأنفال: الآية 26، سورة الروم: الآية 31-32، سورة الأنعام: الآية 159، للمزيد من الاطلاع ينظر العلواني (طه جابر فياض)، أدب الاختلاف في الإسلام، دار الشهاب، الجزائر، د ط، د ت. [↑](#footnote-ref-1)